مجلة علوم التربية

دورية مغربية نصف سنوية

ملف خاص عن الكفايات

- توجهات البحث حول تكوين المدرسين
- تربية المستقبل ورهان تحقيق التنمية البشرية
- البحث العلمي ومجتمع المعرفة في المغرب
- تعليم الكبار في عصر تكنولوجيا المعرفة
- التعليم العتيق والبنية التقليدية في المغرب
- جودة المراقبة المستمرة
- مؤتمر اليوم العالمي للفلسفة

العدد الثالث والثلاثون- مارس 2007

التعليم العتيق والبنية التقليدية في المغرب

● د. رشيدة برادة*

تمهيد

إن الباحث، أو المؤرخ بصفة خاصة، الذي يهدف إلى دراسة ظاهرة معينة داخل مجتمع معين وفي زمن معين، لا بد له من الرجوع عبر أدراج التاريخ للوقوف على البنية التي كان ينبني عليها هذا المجتمع، باعتبارها صورة حية لمظاهر الحياة المتنوعة التي كانت تحياها الأسرة أو الجماعة داخل هذا المجتمع نفسه.

ونحن إذ نهدف إلى البحث في مجال التعليم وتفاعله مع الأحداث في عهد الحماية، يمكننا الرجوع قليلا إلى الوراء لتسليط الضوء على البنية التقليدية التي كان ينبني عليها المجتمع المغربي وعلى التعليم العتيق الذي عرفه المجتمع آنئذ، فما هي إذن المكونات الأساسية التي كان يتكون منها المجتمع المغربي قبل الحماية ؟، وما هو نوع التعليم السائد آنذاك وما هي مظاهره ؟.

إن المجتمع المغربي كان يعرف نمطين من العيش: نمط بدوي وهو الغالب، ونمط حضري ويتمثل في طبيعة الحياة داخل المدن الكبرى العريقة كفاس ومراكش وغيرهما.

أولا: البنية التقليدية

أ ـ النمط البدوي: إذا رجعنا إلى تاريخ مغرب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، نجد أنه «لم يكن في المغرب ما يدل على أنه دولة عصرية»[1]، حيث كان يغلب عليه الطابع البدوي بما فيه الترحال وعدم الاستقرار، خاصة لدى أصحاب تربية الماشية، إذ كانت الزراعة وتربية الماشية من الأنشطة الأساسية للسكان

* المعهد الجامعي للبحث العلمي / جامعة محمد الخامس ـ السويسي

بطابعها التقليدي وأدواتها البسيطة، «فلم تكن التقنيات الموروثة عن الأجداد، والملائمة لقساوة الشروط المناخية ولهشاشة الأرض، تكفي لإنتاج الخيرات»[2]

من هذا الطابع البدوي الذي كان يطبع الحياة داخل المجتمع المغربي، يمكننا أن نستخلص نظاما للعلاقات التي كانت تربط أفراد هذا المجتمع فيما بينها، حيث كانت القبيلة تعتبر وحدة إنتاجية تخضع لموروث تقليدي يضم عدة أنظمة ومؤسسات اجتماعية، من ذلك مثلا مبدأ التعاون الذي كان يتجلى في نظام «التويزة» «الذي يعتبر شكلا تعاونيا ذا مدلول ثقافي اقتصادي أدى إلى تكتل القوى الإنتاجية بين عدد من الأسر، قصد إنتاج مجموعة من الأعمال بشكل جماعي لصالح كل أسرة على حدة وبالتناوب، وبالخصوص في المجال الزراعي، دون الاحتياج إلى استعمال النقود لتسديد الأجور»[3]

ومن الأنظمة التي كان يعتمدها المجتمع، نظام الرعي الذي كان يتم هو الآخر بنوع من التعاون حسب الجماعات أو «الدواوير» في شكل تناوب، حيث تتم عملية الرعي الجماعي بواسطة الفرد الذي تشمله النوبة، ويأتي ذلك بشكل دوري، وبهذا يظهر نوع من توزيع الأشغال داخل القرية أو الدوار.

بالإضافة إلى هذا، هناك النظام الغذائي الذي كان يخضع لأعراف متميزة تخول للأسرة الحق في الحصول على كمية من اللحم، ويسمى هذا النظام "الوزيعة"[4]. حيث يشترك عدة أفراد أو أسر في شراء بهيمة تذبح وتوزع بنسب مختلفة.

إن هذا النمط من العيش كان يعتمد كثيرا على النظام الجماعي، حيث كانت الجماعة تخصص للمخزون الزراعي مكانا جماعيا، تحفر فيه «المطامير» فتجعل كل أسرة مخزونها في «مطمورتها»، ويحرس هذا المكان حارس تعينه الجماعة ويسمى هذا المكان بالمرس.

انطلاقا من هذه النماذج التي تدل على روح التعاون الذي كان يطغى على الحياة داخل المجتمع المغربي منذ تاريخه القديم، نجد أن هذا النظام التعاوني كان يشمل كذلك المؤسسات التعليمية، كالمسيد والمسجد والرباطات والزوايا، حيث كانت الجماعة تقوم بتوظيف فقيه يتكلف بتعليم أبنائها وتربيتهم، مقابل أجر يلتزم أفراد الجماعة بأدائه، ويتمثل في جزء من المحصول الفلاحي سنويا، مع سد بعض حاجياته الغذائية بالتناوب بين أسر الجماعة أو الدوار التي لها أبناء في الدراسة...

بما أن المعلومات الواردة في الكتابات العربية عن البنية المغربية قبل الحماية غير كافية، وفي أحسن الأحوال لم ترد بالشكل الذي يشفي غليل الباحث، فإنه لا بد من الاعتماد على ما ورد عند الرحالة والمؤرخين الأجانب الذين اهتموا بهذا الموضوع وقاموا بوصف الحالة التي كان عليها سكان المغرب خلال القرن التاسع عشر وقبيل الحماية، إذ نجد أوجستان برنار[5] ينعت المجتمع المغربي بأنه مجتمع يعتمد بالأساس على الزراعة وتربية الماشية، وأن الفلاحة تمثل المرتبة الأولى في إنعاش الاقتصاد المغربي آنذاك؛ ولهذا يمكن القول بأن المجتمع المغربي كان يطبعه الطابع البدوي، وأن البادية كانت فاعلا منتجا، فاستطاعت بذلك أن تؤثر في جميع المستويات، في حين احتفظت المدن، خاصة منها الكبرى، لنفسها بالتجارة واستقطاب الحرفيين وأهل العلم.

ب ـ النمط الحضري: كانت المدينة المغربية خلال القرن التاسع عشر غير ذات أهمية لقلة السكان وضعف المردود، باستثناء المدن الكبرى كفاس ومراكش[6] وغيرها من المدن التي عرفت بموقعها الاستراتيجي الذي أكسبها أهمية قد تكون اقتصادية أو فكرية أو علمية.

ورغم غلبة الطابع البدوي على المجتمع المغربي، فإن المدينة هي الأخرى ظل لها أثر هام على البلاد، فهي تعتمد بالأساس على التجارة والمبادلات، الأمر الذي ساعد على ربط العلاقات مع الدول الأجنبية، «حيث حافظت بعض التيارات التجارية الكبرى على استمرارها كبقايا للعلاقات القديمة مع السودان عن طريق تافيلالت ومع الجزائر ومصر، ومع أوربا عبر مراسي طنجة والعرائش والصويرة. وكان تجار فاس الأثرياء هم الذين يحافظون عليها»[7]

ومن أهمية المدينة أيضا أنها كانت تزود الأسواق القروية بالمبيعات «إذ أن التجار كانوا ينقلون البضائع إلى أسواق الغرب من العرائش والقصر وسلا أو فاس»[8]. ولا شك أن هذه التجارة الداخلية كان لها دورها في الحفاظ على تماسك المجتمع وربط العلاقات الحميمية بين فئاته المختلفة.

لهذا كانت المدن المغربية تضم الطبقة البورجوازية الثرية التي كانت تحتكر المجال التجاري، وكذلك المثقفين والموظفين، إضافة إلى أصحاب الحرف والصناعات التقليدية. وهذا التعايش الاجتماعي داخل المدينة هو الذي عمل على تنشيط الجانب الاقتصادي ليصبح الاقتصاد مبنيا على الزراعة والحياة الرعوية والصناعة التقليدية والتجارة.

ج ـ العلاقات الاجتماعية: إذا تطرقنا إلى العلاقات الاجتماعية التي كان ينتظم في إطارها المجتمع المغربي قديما، نجد أن الأسرة هي الخلية الأساسية التي يتشكل منها المجتمع، والتي تعتمد بالأساس على سلطة الأب سواء خارج البيت أو داخله.

كما تعتمد على الأم كسلطة داخلية، تقوم بتربية الأبناء ورعايتهم، فالأسرة المغربية يخدمها نظام اجتماعي معين ينبني على أسس وقواعد شرعية ثابتة، كما تغلب عليه عادات وتقاليد تفرضها عوامل تاريخية واجتماعية. لهذا كانت الحياة الاجتماعية داخل المجتمع المغربي تتسم بالبساطة التي انعكست بدورها على وسائل تلقين المعرفة وطرق نشرها، ولعل منشأ هذه البساطة يعود إلى درجة تطور المجتمع المغربي إذ ذاك، فقد كانت تحكمه تقاليد اجتماعية ترسخت فيه منذ القدم وأثرت بالدرجة الأولى في التعليم ومؤسساته، حيث أصبح «يستجيب لحاجات حفظ المعرفة الضرورية بشرائع الدين»، ولذلك حاول المجتمع المغربي إنشاء مؤسسات تسهر على تلقين مبادئ الدين وما يتعلق به من متون ومنظومات لخلق الانسجام في سلوك الأمة المغربية وعقائدها ومعاملاتها، ولضمان الوحدة السياسية والمذهبية، فالهدف الأساسي من التعليم لم يكن مجرد تلقين المعارف المختلفة، بقدر ماكان يركز على تلقين الأطفال المبادئ الدينية والأخلاقية.

د ـ النظام السياسي: من مكونات المجتمع أيضا نجد المخزن، والمخزن هو الجهاز السياسي والإداري الذي يتحكم في البادية والمدينة، وكلمة المخزن المتداولة في مغرب القرن التاسع عشر لها عدة مفاهيم، يمكن أن

نقتصر منها هنا على مفهومين: المفهوم الضيق ويقصد به البيروقراطية والجيش وكل ما من شأنه أن يتوصل بأجرة من الخزينة السلطانية،[9] وليس من الحبوس كأعضاء الإدارة لمدنية، وهؤلاء هم الذين يتولون مسؤولية الأمن في البادية والمدينة؛ والمفهوم الواسع، ويقصد به المجموعات التي يوجد داخلها موظفو المخزن الضيق (الخاصة) وقبائل الكيش والشرفاء والأولياء الموزعون في البادية، أي كل من كان يتوصل بالصلة (الهدية)، والذين يتوفرون على امتيازات (التوفير والاحترام)، وفي ذلك يقول السباعي إن «طاعة الأمير هي من طاعة الله»، فالعامة عليها الطاعة العمياء للأمير، والنخبة عليها أن تصلي وتدعو له بالتوفيق والنجاح والرحمة والوزراء والمستشارين يجب أن يكونوا رهن إشارته[10]

ميزة المخزن الأساسية هي أن يكون مسلما عربيا أو معربا وأن يفرض نفسه على الجماعات التي تقف في وجهه بالاعتماد على القوى المحلية كالزوايا والسلطات المحلية (القيادات).

ونجد على رأس المخزن السلطان، فهو الذي يقوم بأهم دور في هذا الجهاز، إلا أنه لا ينفرد باتخاذ القرار وحده، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالقضايا المصيرية للأمة، لذلك يلجأ إلى استشارة الفقهاء ورؤساء القبائل، وتتجلى سلطة السلطان السياسية في التحكيم بين الفئات في المدن وبين القبائل[11] فبالتحكيم السلطاني يتم حفظ التوازن، وخاصة في القبائل التي كانت الانقسامات تهدد بنيتها الاجتماعية.

وإذا كان النظام القبلي والحضري يقبل سلطة السلطان إلا أنه كان يتفاوض معه فيما يترتب عن هذه السلطة من تبعات، وخاصة الضرائب؛ ففي غالب الأحيان كان المخزن يتعرض لهزات عنيفة تصل أحيانا إلى رفض «السلطة المحلية أو المركزية القائمة»، ويمكن اعتبار ظاهرة التمرد أو ما كان يعرف «بالسيبة» تعبيرا عن رفض البادية تزويد المخزن بالضرائب المفروضة، نظرا لحالات الجفاف أو المجاعة أو تمردا على تعيين أحد الولاة فـ «لقد كان تمرد القواد وتملص البعض منهم من أداء الضرائب وغارات البعض الآخر على الجيوش السلطانية، وسيلة من وسائل إثارة انتباه السلطة المركزية، والتلويح بالاحتجاج من أجل المشاركة في تلك السلطة»[12]؛ وقد سجلت حالات تمرد متعددة تعود إلى تسلط العديد من الولاة بسبب رفض القبيلة التعاون معهم فيتعرضون بذلك إلى القمع والردع من قبل الجيش، لكن في الغالب ما كانت السلطة تضطر إلى عزلهم أو نقلهم إلى مكان آخر، وكثيرا ما يلزم تدخل الجيش وقيامه بالهجوم على الجهات التي ترفض أداء الجباية لسبب أو لآخر[13]

إلى جانب سلطة المخزن توجد سلطة الفقهاء، ويتجلى ذلك في إصدار الفتاوى والأحكام الشرعية، فالفقهاء هم الذين يتولون كتابة القوانين، وترجع قوتهم إلى ما كانوا يتمتعون به من مهابة دينية في بيئة متشبعة بالمبادئ الإسلامية التي تغذيها إحساسات ومفاهيم ليست كلها من الكتاب والسنة بقدر ما هي من مؤثرات قديمة[14] ترجع إلى ما قبل مجيء الإسلام، وكلها تعتبر صادقة وعميقة، وما يتمتعون به من وضعية تكفلها لهم رواتبهم المحصلة من المساجد كأئمة ومن المدارس كأساتذة وتعزز سلطتهم بالخريجين من طلبتهم أثناء تعيينهم مدرسين وقضاة في الأماكن الشاغرة بين تلك القبائل.

هناك أيضا سلطة الصلحاء الزاهدين في الدنيا، فكل قبيلة كانت تسعى لأن يكون لها «مرابط» من الأحياء أو من الأموات، وأن تكون لها زاوية أو ضريح[15]؛ ويرتكز نفوذ الصلحاء (البركة) أيضا على محورين: أحدهما ديني والآخر اقتصادي... وهؤلاء الصلحاء هم الذين نشروا مبادئ الطرق الصوفية، وقد عرفت البادية المغربية العديد من الطرق والزوايا.

تميزت علاقة المخزن بالصلحاء والفقهاء «بالتوقير» والاحترام وذلك باستصدار ظهائر سلطانية تعترف بحرمتهم، وبالتالي نفوذهم وخدماتهم؛ ومقابل هذا التقدير كانوا بدورهم «يدعون لسلاطين الوقت على المنابر، وينصرونهم في المواسم والأندية، ويعتقدون أن مخالفتهم شقاق»[16] وقد كانت الإجراءات المخزنية ترمي إلى إقرار بعض المساجد والزوايا على الاحتفاظ بالأعشار والزكوات والاستفادة منها مما تضمنته عدة ظهائر[17]

وكل هذه السلط مجتمعة كانت تكون وحدة سياسية كلما تعرضت البلاد إلى خطر أجنبي يهدد المصالح العامة. فتندمج الكيانات بعضها في بعض وتتعالى أصوات الفقهاء والصلحاء والأعيان إزاء قياد المخزن لاستنهاض تلك القبائل فتنضم إلى «حركات» المخزن بقيادة هؤلاء جميعا، كما حدث أثناء حرب تطوان سنة 9581 وأثناء حركة المقاومة التي تزعمها أحمد الهيبة وغيره سنة 1912.

من خلال تطرقنا، ولو باختصار، إلى البنية التقليدية للمجتمع المغربي، والذي خلصنا فيه إلى بساطة العيش التي ظهر تأثيرها على كثير من المجالات، وبالخصوص مجال التعليم في ذلك العصر، يمكننا أن نخلص إلى كون المجتمع المغربي كان يعتمد في حياته الاجتماعية بالأساس على المبادئ الدينية؛ لهذا كان لا بد له من إنشاء مؤسسات تعليمية ذات طابع إسلامي، تحرص على تعليم الناشئة وتكوينها تكوينا دينيا لتندمج في المجتمع الإسلامي بقيمه وأخلاقه وعاداته. فما هي إذن هذه المؤسسات التي كانت منتشرة بالمغرب؟، وما هو دورها في تكوين الناشئة وتعليمهم؟، وإلى أي حد استطاع مؤطروها تبليغ رسالتهم؟.

ثانيا: مؤسسات التعليم العتيق

إن النظام التعليمي الإسلامي عموما لم يتغير كثيرا عبر العصور، سواء في المغرب أو غيره من البلدان الإسلامية، في القرى أو في المدن، إذ كان يقتصر على ولوج المؤسسات الموجودة في عين المكان أو انتقال الطالب بحثا عن المعرفة في مؤسسات تعليمية أخرى، تبعا لمراحل تخصص معين أو الالتحاق بعالِم مشهور في مادة محددة؛ ومنهجيته تعتمد أساسا على نقل المعرفة بواسطة الحفظ عن طريق سلسلة من الملقنين، تختتم بإجازة المعني بالأمر بعد مدة زمنية متفاوتة من شخص لآخر، ويرتبط بالحفظ عادة معرفة القراءة والكتابة. يأخذ العالم أو الفقيه أجره مباشرة من أهل المتعلم نقدا أو عينا أو من أموال الأحباس المحبسة لذاك الغرض؛ ولم يكن التعلمُ ومستواه متاحا للجميع بنفس الفرص، إذ كان يختلف من مكان لآخر ومن أسرة لأخرى حسب الإمكانيات المادية والاجتماعية، وحسب مكان السكنى وما يوفره محيطها، حيث إن مراحل التعليم

تختلف بين أبناء الأعيان في المدن كفاس وتطوان عنها في بقية المناطق، الأمر الذي يتيح إمكانية إدماج نخبة هذه المدن بصفة مستمرة داخل فئة الخواص.

بغض النظر عن مضمون التعليم والبيداغوجية المتبعة فإن قيمة التعليم والتعلم كانت تستمد أساسا من وظيفته الاجتماعية[18] ومن دوره في المؤسسات المخزنية، ومن هنا تأتي الأهمية التي كانت تحظى بها المؤسسات التعليمية بمختلف أنواعها من قبل الأسرة والمجتمع والمخزن معا.

أ ـ الكتاب أو المسيد

يعد الكتّاب من المراكز التعليمية الأولية التي كانت تشكل قاعدة البناء وأساسه للتعليم الأولي وحفظ القرآن، وتعليم الدين بالمغرب. ولقد تعددت أسماء هذه المؤسسة عند العلماء والمؤلفين الذين اهتموا بموضوعها، فقد سماها كل من المغراوي[19] وابن عرضون[20] «المكتب»، وبالرغم من كون هذه التسمية أقرب إلى تعليم الكتابة والقراءة، فقد كانت تطلق على أماكن تعليم القرآن وغيره من العلوم، كما سمي فيما بعد «بالكتاب»، وهو الذي يعنى بتعليم الأبناء، حيث كان يتردد عليه الصبيان لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن. وقد سمي هذا المركز في بعض المدن المغربية «بالمسيد» لقرب مخارج هذه الحروف من حروف المسجد، حيث أبدلت الياء بالسين، فقيل «مسيد» بدل مسجد، وهذا نجده كثيرا في الرباط وفاس[21].

كان المسيد في أول الأمر يشغل زاوية من زوايا المسجد، وذلك لما بينهما من علاقة دينية وتعليمية وثيقة. لكن نظرا لما يحدثه الصبيان من ضجيج، فقد انفصل الكتّاب عن المسجد واتُّخِذَ له مكان مستقل. ورغم ذلك بقي عدد من الكتاتيب ملحقا بالمساجد، غير أنها تكون أحيانا بعيدة عن المصلين لتفادي اللعب والتشويش الذي يقوم به الصبيان.

لم يهتم المسلمون بتزيين الكتاتيب وتأثيثها، فقد كانت عبارة عن غرفة في منزل أو فناء بسيط مفروش بالحصير، حيث يجلس عليه الصبيان متحلقين حول المعلم (الطالب). وقد كان هذا النوع من الكتاب منتشرا في أغلب مناطق المغرب، وفي ذلك يقول ميشوبلير: «إن القرى عند جبالة والتي تسمى بدشر، تقسم إلى أحياء (حومة) كل حومة لها مدرستها القرآنية»[22]، وإذا أردنا أن نتحدث عن الأدوات التي كانت تستعمل في هذه المؤسسة العتيقة نجدها لا تتجاوز ألواحا وأدوات للكتابة كأقلام القصب ومادة «السماق» وعدد من المصاحف.

أما إذا أردنا التطرق إلى إحصاء مضبوط للتلاميذ الذين كانوا يلجون هذه المؤسسة، فإنه من الصعب تحقيق ذلك نظرا لعدم وجود وثائق إحصائية في الموضوع، ونظرا لتعدد الفئات الاجتماعية التي كانت تحرص على إرسال أبنائها إلى الكتّاب، الأمر الذي يوحي بكثرتها وانتشارها في كل مناطق المغرب، فقد وصلت في منطقة سوس وحدها مثلا إلى ما يقدر بمائتي مدرسة أو كتاب[23]، «لأن إقامة المدارس وعمارتها بطلبة المعارف وبتدريس العلم العربي، سارت ميادين فخر تتسابق إليه كل القبائل، ليكون كبيضة الديك، وكالكبريت الأحمر. أن تجد قبيلة كبيرة أو صغيرة، ليس لها معهد علمي بسيط مشاد بين ظهرانيها، يؤمه من حفظ القرآن

من مساجد القرن»[24]؛ ومما يبرز كثرة الإقبال على الكتاب وتشجيع الآباء على التعلم به، هو مكانة الكتاتيب ووظيفتها التي كانت محترمة ومقدرة من طرف الجميع، بحيث كان الكتاب يقوم بدور أساسي، ألا وهو التعليم الديني للأطفال الصغار، والحرص على حفظ القرآن والمتون المتعلقة بالدين.

وفيما يخص تحديد سن الالتحاق بالكتاب، نجد أن هناك تفاوتا بين أعمار التلاميذ بهذه المؤسسة، إلا أن المعروف عن الآباء هو الحرص على تعليم الأبناء في الصغر، وقد حدد العروي ذلك في سن الخامسة؛ أما عن عدد السنوات التي كان يقضيها الطفل في الكتاب، فقد تختلف هي الأخرى من تلميذ إلى آخر، والغالب أن التلميذ لا يمكنه مغادرة الكتاب إلا بعد حفظ القرآن وبعض المتون.

وإذا حاولنا إيجاد بعض الفرضيات للوقوف على نسبة التوزيع الجغرافي للكتاتيب في المغرب قبل الحماية، فإن الوثائق والكتابات التاريخية لا تسعفنا للتعرف عليها، لكن رغم ذلك يبقى لنا حق افتراض أن التعليم كان يشمل القرى والمدن المغربية على حد سواء لما له من وظيفة سبق ذكرها.

من جهة أخرى، يبقى لنا أيضا حق استقراء الكتابات الأوروبية التي حصرت عدد تلاميذ المدارس القرآنية التي كانت موجودة بفاس آنذاك في ألفي تلميذ عند«Don Badia Leblich[25]»، ليأتي بعده بقرن «Peretie» ويحصر عدد تلاميذ 120 مدرسة في حوالي 2500 تلميذ، مما يدل على تزايد بطيء في عدد التلاميذ[26].

بعد هذه التعريفات المتعلقة بالكتّاب أو المسيد، وما كان يقوم به من دور ثقافي داخل المجتمع المغربي، لا بد لنا من الحديث عن الشخصية التي كانت تقوم بهذا الدور داخل الكتّاب. فما هي إذن هذه الشخصية؟ وما هي شروط تعيينها؟.

ـ معلم أو فقيه الكتّاب: نظرا لشعبية التعليم في الكتاتيب، كان الطالب أو الفقيه يعين من طرف الجماعة التي تسكن بالقرب من الكتاب، والتي يتفق عناصرها على: صلاحية الفقيه أو الطالب، ومدى قدرته على تلقين التلاميذ، وطريقته في التدريس. هذه المعايير كانت تخول لطالب ما القيام بمهمة المعلم، وذلك بعد وضع شروط للاتفاق الذي يقرر اختياره؛ وقد كان الآباء لا يختارون لتعليم أبنائهم إلا من حسنت سيرته وظهر عفافه وطيبوبته في الوسط الذي يعيش فيه، إلى درجة أنهم كانوا لا يولون الأعزب تعليم أطفالهم[27] وهذه الخصال المطلوب توفرها في الطالب (الفقيه) كان العلماء يؤكدون عليها ويعتبرون «المعلم كالعود، وتلميذه بمنزلة الظل، فمتى استقام العود استقام الظل بالطبع، والعكس فإن اعوج اعوج الظل»[28]

ومن الصفات التي يجب على المعلم التحلي بها: المهابة في غير عنف والانبساط دون الغضب، والرفق واللين بدل الغلظة، وكلها صفات محمودة تشجع التلاميذ، لصغر سنهم، على حب معلمهم والحرص على اقتفاء أثره.

غالبا ما يكون هذا الاتفاق مختلفا بين المدن والقرى، بحيث يتم الاتفاق مع الطالب على أداء واجبه

التعليمي مقابل محصول سنوي من الزرع والماشية فيما يخص البادية، وعلى الجماعة التي تتفق معه أن تراقب سلوكه ونشاطه التربوي. كل هذا يتم بعيدا عن تدخل المخزن[29]، إلا أن هذا الشرط يتحول إلى واجب أسبوعي أو شهري في المدينة.

وتصغر هذه الأجرة في أعين الناس، لما لها من أجر عظيم، أكده ابن سحنون بقوله: «إن أجر الآباء في تعليم أبنائهم القرآن أعظم من الحج والرباط والجهاد»[30].

وخلاصة القول فإن، التعليم بالكتاب أو المسيد قد اعتنى بالناحيتين العلمية والأخلاقية، وأدى وظيفته في ذلك؛ إلا أن النشاط الصبياني ظل يفتقر إلى الجانب الترفيهي الذي يميل إليه الصغار، مع أن علماء التربية المسلمين كانوا يلحون على ضرورة توفير وسائل الترفيه للأطفال.

وعلى العموم فإن التعليم الديني هو الذي ظل سائدا في الكتاتيب، مما يحكم لهذه الأخيرة بأداء الدور الأساسي في تعليم الناشئة وإعدادهم لمرحلة التعليم في المسجد لمن كان يرغب في ذلك.

ب ـ المساجد

ب/ 1 المسجد كمؤسسة تعليمية: يعتبر التعليم بالمسجد مرحلة ثانية بالنسبة للتعليم في الكتاب، ولهذا يعد من المؤسسات التعليمية ذات الأهمية الكبيرة؛ وذلك ما جعله يحتل الصدارة في المجتمع الإسلامي باعتباره مكان عبادة وتعلم وتعليم وتوجيه وإرشاد، وملتقى الوجوه من الناس ومقر ندواتهم.

ظل المسجد المركز الأساسي، بالنسبة للذين تجاوزوا مرحلة الكتّاب، لنشر العلم والمعرفة، حيث كانت تنظم فيه حلقات علمية في أوقات ما بعد الصلاة دون أن تخضع هذه الحلقات لبرامج أو مقررات محددة، ودون أن يلتزم فيها طلبة العلم بحلقة معينة، بل كانت لهم حرية الانتقال من حلقة إلى أخرى؛ كما أن علماء هذه الحلقات كانوا يدرسون بالمجان، ولا يسعون في طلب أجر مادي في مقابل الدروس التي يلقونها.

ـ **المواد المدرسة وطرق التدريس**: قبل أن نتحدث عن المنهج التعليمي ومواد التدريس داخل المسجد يمكننا أن نتساءل: هل التعليم في هذه المؤسسة واكب تطور العصر أم ظل على تقليديته ؟.

نظرا للشروط المطلوبة في الطلبة الذين يريدون متابعة دراستهم في هذه المرحلة، والتي تتحدد في شروط منها: تقدم الطالب في السن، وضرورة حفظ القرآن، وتوفر الشروط المادية، فإن الدروس التي كانت تلقن بالمساجد كانت تتعلق بحفظ الأمهات، كالأجرومية والمرشد المعين لابن عاشر في القواعد الأساسية للدين الإسلامي، والألفية في النحو، ومختصر خليل في الفقه[31]، وهناك من الطلبة من يتطلع إلى حفظ متون أخرى.

وباعتمادنا على عالم سوس المختار السوسي، نجد أن الدراسة في هذه المرحلة كانت تتم بواسطة الألواح، ولا تستعمل الكتب إلا بعد بلوغ الطلبة مرتبة عليا في الدراسة، حينها يقبل الطلبة على استنساخ كتبهم الخاصة، ومبرر ذلك انعدام المطبوعات أو قلتها، وكثيرا ما كان الطلبة يستعيرون الكتب من الخزانات المعروفة[32] مما يدل على أن الطريقة التقليدية هي التي كانت سائدة في جميع المساجد خلال الفترة المدروسة.

وبالنسبة للمدة التي كانت تستغرق لإتمام الدراسة بهذه المرحلة، فقد كانت مدة طويلة، باستثناء بعض الطلبة ذوي الطموح والقوة والرغبة الذين كانوا يقلصونها في سنوات قليلة[33]؛ وكان الطالب، إذا تخرج من المدرسة وأنهى طلبه، إما أن يرضى بالمقام بها ويشتغل بالتدريس ونشر العلم، وإما يغادرها للمشارطة في القبائل، أو يتفرغ لمزاولة القضاء، أو يتابع دراسته في القرويين أو ابن يوسف[34]

ب/ 2 جامعة القرويين: لقد تأسس هذا الجامع في قلب مدينة فاس، عاصمة المغرب العلمية، التي أسسها المولى إدريس وجعلها عاصمة له آنذاك. وبحكم موقعها على ضفتي واد الجواهر خصص الضفة الشرقية منها بجالية الأندلس، والضفة الغربية بجالية القيروان. فكان ذلك سببا في تأسيسه لكل جالية جامعها، حيث خص جامع الأشياخ للجالية الأندلسية وجامع الشرفاء لجالية القيروان. وهكذا أخذت المدينة تتسع شيئا فشيئا بكثرة السكان وزيادة العمران، مما أدى إلى اكتظاظ المساجد بالمصلين، فدعت الحاجة إلى توسيعها والزيادة في عددها، وذلك ما دفع السيدة فاطمة الفهرية إلى تأسيس مسجد القرويين سنة 245هـ.

منذ ذلك الحين اهتم ملوك المغرب بهذا الجامع حتى أصبح من أهم المساجد في المدينة، بحيث أدخلت عليه إصلاحات من حين لآخر فاتسعت رحابه وتزايدت حلقاته العلمية.

ـ جامعة القرويين وتدرجها عبر التاريخ: استمرت جامعة القرويين في نشاطها العلمي في عهد الأدارسة ومن جاء بعدهم من دول المغرب، بحيث أكمل المرابطون شكلها على ما هي عليه الآن[35] وفي عهد الموحدين كانت تعادل جامعات الأندلس باجتماع العلماء في رحابها، ولذلك اهتم الموحدون بترميم جوانبها، وإقامة ما يوشك على الانهيار بعد الحريق الذي مس جانبا من جوانبها[36]

كما عرفت هذه الجامعة ازدهارا في عهد بني مرين، وخاصة لما أصبحت فاس عاصمة ملكهم، حيث اعتنوا ببناء المؤسسات التعليمية فشملت هذه الحركة جامعة القرويين التي حظيت منهم بالتزيين؛ وهكذا ظلت هذه المعلمة التاريخية تحظى بالترميم والتزيين من طرف الدول التي تعاقبت على الحكم بالمغرب، وذلك ما فعله السعديون وملوك الدولة العلوية الذين ثبتوا أركانها، ونظموا التدريس بها، لما كان لهم من اهتمام بالعلم والعلماء، فقد كانوا يحضرون دروس العلم، ويحضون العلماء على نشره، ويناقشونهم في دقائق الأمور، ويشجعونهم على ذلك بالعطايا، فتنافس العلماء والمتعلمون وأقبلوا على التعلم والتعليم؛ ومما يؤكد اهتمام ملوك الدولة العلوية بهذه الجامعة تحديدهم للدروس والكتب المقررة، حيث كانوا يأمرون بالابتعاد عن بعض الكتب ويقررون بعضها كما فعل ذلك السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أصدر منشورا يقول فيه: «فإننا أمرنا أن لا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره، ومن كتب الحديث المساند والكتب المتخرجة منها والبخاري ومسلما وغيرها من الكتب الصحاح...، إلى أن قال، وأن يصلوا طلبة البادية فإنهم يأتون من بلدهم بنية خالصة في التفقه في الذين وحديث رسولْ، فحين يسمعونهم يدرسون هذه العلوم التي نهينا عنها يظنون أنهم يحصلون على فائدة بها، فيتركون مجالس التفقه في الدين واستماع حديث رسول الله، وإصلاح ألسنتهم بالعربية، فيكون ذلك سببا في ضلالهم»[37]

من خلال تتبعنا للمنشور السالف الذكر، تظهر الأهمية الكبرى التي كان يوليها السلطان للمواد الإسلامية التي يسمح لها بأن تدرس داخل جامع القرويين، وأيضا يظهر عزوفه عن بعض المواد الأخرى فأمر بالابتعاد عنها، إلى درجة إلحاق العقوبة بمن يدرسها أو يدرسها، وذلك بدعوته إلى الرجوع لأمهات الكتب السهلة الواضحة ونبذه للمختصرات والشروحات المعقدة. إلا أن السلطان مولاي سليمان لما أفضى الأمر إليه، خالف سنة والده بحثه على حفظ مختصر خليل ومنحه لحفاظه تشجيعات مادية[38]

ب / 3 جامعة ابن يوسف بمراكش: تعد المدينة الحمراء (مراكش) من المدن المغربية العريقة في القدم، والتي اتخذها السلاطين عاصمة لدولهم، فاحتفظ لها التاريخ بمآثر وذكريات ظلت شاهدة على عظمة شأن هذه المدينة وتجذر عروق تاريخها في ذاكرة المغاربة، ولعل من أهم وأبرز هذه المآثر جامعة ابن يوسف العلمية.

يرجع تأسيس جامع ابن يوسف بمراكش إلى عهد السلطان علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي[39] وذلك سنة 514 هـ، في قلب المدينة «حيث الأسواق والمرافق الحرفية، ويكاد يحيط به السكان الذين يعمرون المدينة، ويلتصق بالمسجد كتاب لتعليم الصبيان، ومكتبة لتزويد القراء ورواد المعرفة العلمية التي كانت مناطا للعلم في العصر المرابطي»[40] وقد جلب له علي بن يوسف أهل العلم والمعرفة من الأندلس وأطراف المغرب العربي الكبير، وفي ذلك يقول المراكشي: «ولم يزل أمير المسلمين من أول إمارته يستدعي الكتاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته إلى ذلك، حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك»[41]، فأصبح هذا الجامع على رأس المعاهد العلمية، تنبعث منه الهداية والعرفان، ويلج أبوابه كبار العلماء يتنافسون على إمامته وخطابة منبره، وإلقاء الدروس فيه. وقد ظل هذا الجامع على ازدهار كبير طيلة حكم المرابطين، وكمثال على ذلك، الندوة العلمية الكبيرة التي دارت بين فقهاء مراكش برئاسة قاضي القضاة، وبين زعيم الموحدين ومؤسس دولتهم محمد المهدي بن تومرت «المعروف بتطرفه في نقد فقهاء مراكش، وفاس، والأندلس، وهجومه على أقطاب المذهب المالكي، في عواصم المغرب العربي، ودعوته المذهبية السياسية إلى العمل بأصول الدين، بدلا من اتباع الفروع، التي يدرسها فقهاء مراكش في جامع ابن يوسف»[42] إلا أنه مع مجيئ الموحدين (541هـ ـ 624هـ) سيعرف مسجد ابن يوسف تراجعا نسبيا، نظرا لموقف الخلفاء الموحدين منه، وكذلك لتشييدهم «لمسجد الكتبية» واهتمامهم به.

رغم ذلك بقيت مدينة مراكش عاصمة للشمال الإفريقي والأندلس والصحراء، قبلة لكبار العلماء من كل مكان، خاصة بعدما أنشأت بها، الدولة الجديدة، الخزائن الكبرى التي تنافس في إقامتها الملوك والأمراء حتى أصبحت مدينة مراكش تجمع علم قرطبة والقيراوان، حيث شبهت ببغداد في عهد بني العباس[43]، خاصة بعدما جدد الخليفة عمر المرتضى مسجد ابن يوسف وأعاد له مجده ليستأنف مع خزانته سيرهما في بعث الثقافة الإسلامية من جديد[44]، إلا أن اسمه تغير فأصبح يحمل اسم «السقاية» بعدما كان اسمه «مسجد السلطان»؛ غير أن قيام الدولة المرينية وانتقال العاصمة من مراكش إلى فاس، كان له دور في تضاؤل شأن هذا الجامع، وذلك لما أولاه المرينيون من اهتمام بجامع القرويين وغيره من المدارس والمؤسسات العلمية، بما فيها مدرسة مراكش التي بناها أبو الحسن المريني بقصبة مراكش[45]

هكذا ظل جامع ابن يوسف محط اهتمام الملوك والأمراء، الذين تعاقبوا على الحكم من المرابطين إلى عهد العلويين الذين جددوا لهذا الجامع مجده بتشجيعهم للعلم والعلماء، وإحياء ما اندثر من علوم الدين؛ ويتضح ذلك من خلال الندوات العلمية، والمراجعات المذهبية القيمة التي عرفها هذا الجامع، والتي عملت على نشر المعرفة في ربوع المغرب كله، انطلاقا من مراكش ومن جامعها «جامعة ابن يوسف».

تعتبر جامعة ابن يوسف بمراكش من الفضاءات التي ساهمت بشكل كبير في تكوين نخبة من العلماء الذين درسوا فيها أو تتلمذوا على علمائها ممن ذاع صيتهم ووصل إلى المشرق وغيره من البلدان العربية كأبي الفضل القاضي عياض، وأبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، ومحمد بن عمر بن المعتمد بن عباد، ومالك بن وهيب الأندلسي المراكشي؛ وقد عاش هؤلاء العلماء والأدباء في عهد الدولة المرابطية. أما العلماء والمفكرون الذين عاشوا في فترة الدولة الموحدية فإننا نجد منهم: المهدي ابن تومرت، وأبا الربيع سليمان بن عبد المومن الموحدي، وأبا بكر محمد بن أغلب بن أبي الدرس الأغماتي، وأحمد بن العريف الصنهاجي الأندلسي المراكشي، وأبا موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي.

أما في عهد بني مرين فنجد: ابن البناء، وابن القطان الفاسي، ومحمد بن يخلف المراكشي...

ومن أبرز العلماء في العصر السعدي نجد: محمدا بن عبد الملك الأوسي المراكشي، وأبا محمد الحسن بن عبد الكريم المراكشي، واحمد بابا السوداني التنبوكتي، والفقيه أحمد التادلي وغيرهم...

أما في العهد العلوي، فإن أعداد العلماء كثيرة وسنقتصر على ذكر بعض الأسماء كأبي عبد الله محمد الصغير الأفراني، وأبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، وأبي علي اليوسي، ومحمد أكنسوس، وعبد الله بن عزوز المراكشي، وكذلك رئيس الجامعة اليوسفية الأول مولاي مبارك العلوي، وكذلك محمد السرغيني، ومولاي أحمد العلمي، ومحمد بوستة، ومحمد المختار السوسي، ومحمد بن عثمان المراكشي الرئيس الثاني لجامعة ابن يوسف، والعباس بن إبراهيم، وشاعر الحمراء محمد بن إبراهيم وغيرهم[46]

هذه أسماء بعض العلماء الذين احتضنتهم جامعة مراكش في مختلف العصور، والذين عملوا على نشر العلم والمعرفة واشتهروا بالتدريس والتأليف.

من جهة أخرى، ساهمت جامعة ابن يوسف في مقاومة الاستعمار باحتضانها لنخبة من الذين حملوا لواء التحرر والاستقلال وتشبعوا بالفكر الوطني، فدافعوا بكل الوسائل في سبيل حرية البلاد رغم ما واجهوه من عنف ومضايقة من طرف السلطات الفرنسية وأعوانها.

ظلت المساجد خلال فترة ما قبل الحماية قائمة بوظيفتها المسنونة منذ أن جاء الإسلام، فهي البقعة المطهرة التي يعبد فيها الله، ويلقن فيها العلم المتعلق بدين الله. وقد أضاف المسلمون إلى المسجد وظيفة أخرى، بأن جعلوه مكانا للبيعة وأداء العهد، وهي وظيفة تؤكد لنا مكانة المسجد ودوره داخل المجتمع الإسلامي؛ هذا فضلا عن كونه المؤسسة التعليمية التي منها يتخرج العلماء وتؤهل الطالب فيما بعد إلى ولوج المراتب العالية.

ج ـ الرباطات والزاويا

تؤكد كتب التاريخ والكتابات المتعلقة بموضوع التصوف، أن الرباط والزاوية لعبا دورا هاما في نشر التعليم وتلقينه لفئة كبيرة من المريدين، وذلك إلى جانب ما كانت تقوم به من وظيفة دينية محضة. فالرباط كلمة أطلقت في أول الأمر على بناية مستقلة يرابط فيها المسلمون للجهاد في سبيل الله؛ ورغم الطابع العسكري والدفاعي فقد كانت هذه الرباطات تقوم بأدوار دينية وتعليمية، وقد ظهرت على سواحل البحر الأبيض المتوسط لمواجهة المسيحية في المنطقة، وكانت تأوي الصالحين والزهاد، فيقومون فيها بالتعليم والوعظ؛ كما أن الرباطات الداخلية كان لها الفضل في توفير الأمن والاستقرار في المناطق المخيفة، حيث أمنت الطرق، ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتجار[47]، إلى جانب ذلك قامت الرباطات بأدوار دينية وتعليمية.

ازدهرت الرباطات مع انتشار التصوف، فكثر الشيوخ والمريدون، وأصبح من الضروري بناء زاوية لإيواء الزوار وطلبة العلم، ومن ثَمَّ حلَّ لفظُ الزاوية محل الرباط. ويعرف هذا النوع بالزاوية الشعبية التي تتخذ لإطعام الصالحين والمريدين، وتقديم المؤونة للزوار أثناء إقامتهم بها[48] هذه الأعمال كان يقوم بها شيخ الزاوية الذي يتكلف بإلقاء دروس في تعاليم الدين.

إلى جانب هذا النوع من الزوايا الشعبية، كانت هناك زوايا أخرى تعرف بالزوايا الرسمية، وهي التي يتكلف المخزن بتأسيسها، كما فعل المرينيون بالعديد من الزوايا بالمغرب، وهي حركة قد تكون في توازٍ مع حركة بناء المدارس في العهد المريني.

لقد عرفت الزوايا منذ تاريخ تأسيسها جملة من الاضطرابات، إلا أنها ظلت صامدة محافظة على مهمتها ودورها في نشر العلم والتعليم، وذلك ما جعلها تستقطب فئات عديدة من الشعب المغربي لمواجهة الضغط الاستعماري خلال القرن التاسع عشر، حيث ازداد عدد مريديها وكثرت مداخيلها، الشيء الذي جعلها تضاعف من نشاطها التعليمي[49]

ـ **النشاط التعليمي للزاويا**: لاستحضار الدور التعليمي للزوايا يمكننا الاعتماد على بعض الأمثلة من الزوايا التي اشتهرت بهذا الدور والتي قامت باستقطاب العلماء والمريدين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

ـ **الزاوية الشرقاوية**: كان الشيخ بهذه الزاوية هو الذي يحرص على تدريس مختلف العلوم الشرعية، العقلية منها والنقلية، إذ أن التوجه الصوفي للزاوية لم يصرفها عن بناء الشخصية المسلمة القوية في إيمانها وتكوينها، فكانت كراسي مخصصة لتدريس القرآن وعلومه من شرح وقراءات[50]؛ وكان ذلك يتم في إطار منهج عام بالنسبة لما كان يدور في المراكز التعليمية بالمغرب «إلا أنه كان يتقلص أو يتسع حسب ظروف الزاوية وإمكانياتها البشرية فيما يخص التأطير دون أن نغفل تأثير وسطها القروي الذي فرض عليها إعطاء اهتمام خاص لبعض المواد دون أخرى، وهذا كله كان مشبعا بالروح الدينية..، بسبب هدف الزاوية المتمثل في ترسيخ الثقافة الإسلامية وبث تعاليمها»[51]، وقد أدى هذا الإشعاع العلمي إلى تكاثر الوافدين على

الزاوية الراغبين في الكرع من معين شيوخها، مما دفع بعض الشيوخ، أحيانا، إلى إرسال أبنائهم إلى مراكز علمية أخرى لمتابعة دراستهم[52].

وإذا أردنا أن نعمق الحديث عن الدور التعليمي الذي كانت تقوم به الزاوية الشرقاوية، فإننا نجد أنها كانت تتمثل في مستويين على الأقل:

* **مستوى أولي**: وهو بمثابة «المسيد» أو «الحضار» في مناطق أخرى، يكتفي بتعليم التلاميذ الحروف العربية الهجائية حفظا ورسما، ليتدرجوا في التعلم والكتابة حتى ينهوا حفظ القرآن؛

* **مستوى التعليم المتوسط**: وفيه كانت الدراسة منصبة بالدرجة الأولى «على التعليم المتوسط»، وأحيانا يقع الجمع بين المستويين، وهذا راجع إلى مؤهلات الطلبة الفكرية من جهة، وإمكانيات الزاوية من حيث التأطير من جهة أخرى[53].

هكذا ظلت الزاوية الشرقاوية، كغيرها من الزوايا بالمغرب، محافظة على التقاليد العلمية التي تجمعها بالمراكز الثقافية الأخرى؛ ومن أهم هذه التقاليد التي تميزت بها، تلكم الحفلات الختمية التي كانت تقام عند ختم صحيح البخاري وغيره من الكتب الأمهات. كل هذا يعطي للدارس أو القارئ فكرة توضيحية عن الدور التعليمي الذي كانت تقوم به الزاوية الشرقاوية بأبي جعد.

ـ **الزاوية الناصرية**: أما الزاوية الناصرية فقد اجتمعت الكتابات التي ألفت حولها، على أن هذه الزاوية تعتبر من بين المراكز التعليمية الأولى التي اضطلعت منذ تأسيسها بدور التعليم والعلم، إلى جانب تلقين الأوراد وتربية المريدين؛ وهذا ما جعلها قبلة للشيوخ والمتعلمين الذين كانوا يفدون إليها من مختلف أنحاء المغرب. فقد كان شيخها ومؤسسها ابن ناصر يقوم بدور المعلم المربي الذي كان يحرص على مراقبة السلوك، فيوجه وينصح ويرشد قبل أن يستفهم عن مدى التحصيل[54]

* **طرق التدريس بالزاوية**: أما طرق التدريس بالزاوية الناصرية فلا تختلف هي الأخرى عما كان موجودا في المراكز التعليمية التي كانت تعاصرها، إلا أن طريقة الشيخ محمد بن ناصر في درس العلوم كانت تقتصر على «حل كلام النص وما يتعلق به من كلام الشارح، ويقول هذا أنفع للمبتدئين، وأما الإكثار من الانتقال ففيه ضرر عليهم»[55]، كما أشار على المعلم بآداب يجب الالتزام بها، إذ لا ينبغي للمعلم أن يرد على خطأ المتعلم بالتعنت والتزييف، لأن ذلك يخمد قريحة متعاطي العلم، بل يجب أن يعامله بلطف ليجره على الفهم والبحث.

قد تختلف طريقة التدريس من شيخ إلى شيخ تبعا للمستوى العلمي الذي يحرز عليه المعلم، وتبعا أيضا لمستوى المتعلمين، فيبقى الأمر، في طريقة إلقاء الدرس، تقديريا يحدده الشيخ[56]

* **المجالس العلمية بالزاوية**: فيما يخص المجالس العلمية التي كانت تعقد بالزاوية الناصرية، فإنها كانت تشمل العلماء المتخرجين منها وغيرهم من الطلبة الراغبين في تحصيل المزيد من العلم. وكانت هذه المجالس تعتمد في مادتها على دروس الحديث، وغالبا ما يلقي العالم دروسا في علوم أو فنون أخرى، إذ يعتلي الشيخ

أريكة أو شيئا من هذا القبيل يميزه عن الطلبة ويسمح له بمراقبتهم، ويجلس الطلبة بين يديه متحلقين[57]. وكان الشيوخ يحرصون على النظام بهذه المجالس، بحيث لا يسمح للطلبة بالانتقال من مكان إلى آخر؛ ولهذا كان الدرس في هذه المجالس يأخذ طابع المناقشة، مما يسمح لبعض الطلبة بطلب المزيد من التفسير والتوضيح.

إلى جانب هذه المجالس العلمية التي كانت تجمع بين الطلبة والعلماء، والتي كانت تكثر أو تقل بحسب عدد الطلبة، فإن هناك مجالس أخرى كانت تعقد لعموم الناس في أوقات خاصة كشهر رمضان، ويوم عاشوراء، مما جعل الشيوخ يعتمدون في مادتها على سرد الحديث، وخاصة صحيح البخاري[58]

***المواد المدرسة بالزاوية**: بما أن القرآن هو أم العلوم، فلم تختلف الزاوية الناصرية في تدريسه قراءة وتفسيرا وحفظا على غيرها من الزوايا؛ فقد اعتنى الناصريون بالأساس، في مواد التدريس بزاويتهم، على القرآن وعلومه التي ترتبط بحفظ كتاب الله، ومحاولة فهمه والوقوف على أحكامه. وهذا بالأساس هو ما جعل المسلمين عامة ينكبون على دراسته وتفهمه؛ كما اعتنوا إلى جانبه بأصول الفقه لمعرفة مبادئ الدين الإسلامي عقيدة وعبادات ومعاملات.

بما أن هذه العلوم الشرعية تتطلب أدوات لغوية للتحكم فيها، كان لابد من دراسة العلوم اللغوية كالأجرومية والألفية المتعلقتين بعلم النحو؛ أما مادة الأدب فقد كانت هي الأخرى من بين المواد التي حظيت باهتمام العلماء، حيث كانوا يشيرون على طلبتهم بحفظ الرسائل الأدبية والمقامات وقصائد الشعر الجاهلي، لما تحمله من غريب اللغة وفصيحها[59]

كل هذه المواد، وإن كانت تعتبر من مواد المرحلة الأولى بالزاوية، فهي تعتبر الركيزة الأساس التي يبني عليها الطالب علمه.

وإذا حاولنا إلقاء الضوء على مواد التخصص (بلغة العصر) التي تتمثل في التصوف والرقائق والكرامات، نجد أن شيوخ الزاوية كانوا يهتمون بكتب المتصوفة كالغزالي وزروق وغيرهما من الكتب التي تحمل توجيها صوفيا وتصلح لتربية الأذواق وتعميق السلوك الصوفي في قلوب المريدين والأتباع.

* **نظام الدراسة في الزاوية**: إن النظام الدراسي في الزاوية كان يشمل مستويات مختلفة، وكان اليوم الدراسي عامة يبتدئ بعد صلاة الصبح مباشرة، ثم يستمر طيلة اليوم، لا يتوقف إلا من أجل الصلاة أو الضروريات.

فبالنسبة للصغار، فإن اليوم يبدأ بعد صلاة الصبح، ليتوقف قبل الظهر، ثم يعودون قبل صلاة العصر حتى المغرب.

أما المتوسطون فهم أيضا يتبعون نفس النظام، إلا أن بعضا منهم كان يقتصر على الحصة الصباحية نظرا لانشغاله بالفلاحة وغيرها؛ إلا أنهم كانوا مضطرين للحضور بين العشاءين، لاستظهار ما حفظوه سابقا، وهو ما يسمى عادة بعملية «السور» أي تكرار استظهار ما تم حفظه بقصد التركيز[60]

أما الكبار، فغالبا ما كانوا ينشغلون بالعلم طيلة أيام الأسبوع، بما في ذلك ظهيرة يوم الخميس ويوم الجمعة. وهذه الفئة كانت تحضر أيضا حلقات الدراسة بين العشاءين، حيث كان علماء الزاوية وشيوخها يعقدون مجالس علمية في ذلك الوقت. إن إيرادنا لهاتين الزاويتين ليس حصرا وإنما هو توضيح وتأكيد على الدور الذي لعبته الزاوية بالمغرب، والذي يتمثل في وظيفتها التعليمية وإسهامها في تكوين جيل من العلماء الذين ظلوا يتوارثون العلم خلفا عن سلف.

ومن حسنات بعض الزوايا أنها استطاعت أن ترسخ العلوم الدينية في فئة من الشباب المغربي ممزوجة بروح الوطنية التي أصبحت فيما بعد قبس نور أضاء الحوالك التي حاولت سلطات الحماية تسليطها على البلاد. بهذا تكون الزاوية قد شكلت مدرسة علمية، نافست في بعض الأوقات الجوامع الكبرى في كل من فاس مراكش.

د ـ المدارس العتيقة

أطلق هذا الاسم على بناية كانت تحبس لمزاولة التعليم وإيواء الطلبة الذين كانوا يفدون عليها قصد التعلم من مختلف أنحاء البلاد، ومصطلح التحبيس يعني أن هذه البناية كانت لا تمول من بيت المال، وإنما يحبس عليها من أملاك الرعية أو الحكام. ويظهر من تتبعنا لكتب التاريخ أن هذه المؤسسة ظهرت بالمشرق، وانتشرت لتصل إلى بلاد المغرب فأحدثت تحولا عميقا في تاريخ التعليم به، وهذا ما يدفع الباحث إلى التساؤل عن تاريخ هذه المؤسسة بالمغرب.

إذا اعتبرنا الفترة المدروسة (قبل الحماية) إطارا مقيدا يجبرنا على اقتناء أثر الباحثين ومدى وقوفهم على تضارب كتب التاريخ حول فترة ظهور المدرسة ببلاد المغرب، أمكننا القول أنها ظهرت، حسب كتاب الإعلام[61]، في عهد المرابطين بفاس، إذ لم يكن قبل ذلك باعتبار مدرسة أجلو التي تأسست قرب تزنيت، أي مدرسة وجاج بن زلو التي تتلمذ فيها عبد الله بن ياسين، كما نجد صاحب القرطاس يرجع بداية تأسيسها إلى القرن السادس الهجري على يد يعقوب المنصور الموحدي الذي ينسب له بناء المدارس في كل من إفريقيا والمغرب والأندلس[62]

ومما يؤكد هذا التضارب حول تاريخ تأسيس المدرسة، أن بعض المصادر التاريخية تنفي ظهورها بالمغرب قبل القرن السابع الهجري[63]، ويأتي المنوني بدوره ليثبت تاريخ تأسيس المدارس بالمغرب في العهد الموحدي، وبالضبط على عهد الخليفة المرتضى، الذي أسس مدرستي «القصبة» و«جامع المرتضي» وهو جامع ابن يوسف بمراكش[64]

إلا أن المدارس كمؤسسات تعليمية، عرفت في العهد المريني ازدهارا واسعا واهتماما كبيرا من لدن السلاطين الذين أسسوا عدة مدارس في المدن المغربية، وخاصة مدينة فاس التي عرفت في هذا العهد ازدهارا ثقافيا كبيرا، فأصبحت قبلة للعلماء، ولم يقتصر مشروع بناء المدارس على مدينة فاس وحدها، بل استفادت منه مدن أخرى كسلا ومكناس ومراكش وغيرها.

لقد كان هدف السلاطين المرينيين من بناء هذه المدارس هو نشر العلم وإحياؤه، ويظهر ذلك من تحبيس أملاكهم على هذه المدارس كباقي الرعية، لهذا لا يمكن اعتبار عملهم هذا عملا رسميا أو تدخلا للدولة في المجال التعليمي لتوجيهه وجهة دينية، وإنما هو عمل يرجى منه الأجر والتقرب من الله[65]

ساهم هذا التشجيع في انتشار المدارس في جل البوادي المغربية ابتداء من القرن الثامن الهجري، حيث كان هناك نوع من التعاطف مع القبائل التي تنفق من أموالها الخاصة على المدارس وطلاب العلم، وذلك بالتخفيف عليها من الضرائب. كما نجد ذلك في الريف الذي ظهرت فيه عدة مدارس منها مدرسة كان يدرس فيها علم الكلام، بلغت قيمة خزانة كتبها حوالي 4000 مثقال[66] إلا أن هذا الازدهار قد تراجع بسبب عدة مشاكل ومؤثرات أدت إلى ضعفه حيث تحولت المدارس فيما بعد إلى إقامات للطلبة. ومن بين العوامل التي أدت إلى ذلك:

* ضعف دولة بني مرين في آخر عهدها؛

* طرد العرب من الأندلس؛

* وصول الأتراك إلى الجزائر[67]

ـ توزيع المدارس بالمدن المغربية: للوقوف على توزيع المدارس في بعض المدن المغربية يمكننا الاستعانة بالجدول التالي:

المدينة	عددها	الباني
أزمور	1	أبو الحسن المريني
أنفا	1	–
أغمات	1	–
أسفي	1	–
طنجة	1	–
العباد	1	–
سبته	2	القديمة أبو الحسن الشاري الجديدة أبو الحسن المريني
سجلماسة	3	أو أكثر مجهولة
تازة	3	المرينيون
الرباط	1	–
مراكش	3	المرتضى الموحدي وأبو الحسن المريني
مكناس	3	المرينيون
فاس	11	7 مرينية و4 مجهولة
قصر كتامة	1	أبو الحسن المريني
سلا	1	–
شالة	1	أبو عنان المريني

جدول توزيع بعض المدارس[68]

باستقرائنا لهذا الجدول، نجد أن أغلب هذه المدارس قد تأسس في عهد المرينيين، وأن مدينة فاس كانت لها حصة الأسد.

بناء على تأويلات وافتراضات الباحثين[69] الذين تناولوا ظاهرة تأسيس المدارس بالمغرب، وحاولوا الوقوف على الهدف من تأسيسها، يمكننا أن نستخلص هدفا أساسيا، يمكنه أن يشمل جل التأويلات. ذلك أن المرينيين حاولوا تفهم الوضع التعليمي، الذي كان سائدا في ذلك العهد، وما كان يتخبط فيه المجتمع المغربي من رواسب الجهل بموت العلم وفساده، على حد تعبير محمد المنوني[70]، فحاولوا استدراك الأمر ومعالجته بإنشاء المدارس وتحبيسها لأجل «إعانة الطلاب على طلب العلم، والأساتذة على التدريس والتفرغ له. ذلك أنه ابتداء من القرن السادس بدأت أمور المعيشة تحول بين بعض الطلاب والدراسة، وبين بعض الأساتذة والتدريس»[71]، فأدى ذلك إلى نوع من التقلص في عدد الطلاب «ولم تعد الفئات المتوسطة في المدينة تستطيع توفير نفقات دراسة أبنائها»[72]، مما أدى إلى ضعف نشاط الأساتذة المعلمين، وقلة العطاء العلمي، فانعكس ذلك على الأوضاع العامة في المغرب، وخاصة التعليم.

ومن الباحثين[73] من يعزي بناء هذه المدارس إلى تكوين أطر دينية وإدارية يمكن للمخزن المريني أن يعتمد عليها، خاصة وأنه واجه معارضة[74] في النصف الثاني من القرن السابع الهجري من طرف علماء فاس، الشيء الذي دفعه إلى تكوين أطر مخلصة لتسيير شؤون الدولة.

فقد استبعد الباحثون هذا الهدف لارتباط الوظيفة في العهد المريني بمجموعة من التقاليد، خاصة «إن الدول المتعاقبة على المغرب لم تكن تختار موظفيها من بين خريجي المؤسسات التعليمية»[75]

وإذا أردنا أن نعزز بدورنا افتراضات الباحثين، أمكننا أن نعتبر قضية المذهب ومحاولة تدعيمه داخل المجتمع المغربي من بين العوامل التي كان لها نصيب في دفع السلاطين إلى بناء وتأسيس المدارس، وتعيين المعلمين للتدريس بها وفق مبادئ المذهب المالكي، وذلك من أجل تكوين فئة مثقفة مخلصة للدولة سياسة ومذهبيا[76].

ورغم تتبعنا لما كتب عن هذه المدارس في المجلات، والكتب[77]، لضبط أماكن التعلم بالبوادي والحواضر، فإنه لا يمكننا أن نقدم إحصائيات دقيقة لما كانت عليه المدارس في القرن التاسع عشر؛ إلا أننا إذا حاولنا تجاوز اضطراب المصطلح، الذي واجهنا عند الحديث عن المسجد والكتاتيب القرآنية والمدارس، يمكننا حينئذ إعطاء بعض الأرقام التي تمثل نسبة توفر المدارس ببعض المناطق المغربية. وفي ذلك يمكن الاعتماد على لائحة المدارس التي أثبتها الأستاذ أحمد توفيق في كتابه[78]

المدرسة	الموقع
مدرسة شرفاء تاغبالوت	تملالت
مدرسة الفكروني	الدشيرة ـ السراغنة
مدرسة الفقيه محمد بن حمو	الدشيرة
مدرسة العربي السرغيني	أولاد مصباح
مدرسة الشيخ محمد بن الطيب	بني مسكين
مدرسة سيدي تحماد الماجطي	تساوت
مدرسة زاوية تانا غملت	تانا غملت، آيت عتاب
مدرسة ابن المودن	الحمادنة
مدرسة محمد بن سعيد الماجطي	واويزغت
مدرسة إيباراغن	هنتيفة
مدرسة أرجي	دمنات
مدرسة زاوية تاعلاوت	فطواكة

لائحة مدارس اينولتان والقبائل المجاورة لها

باستقرائنا لهذا الجدول، يمكننا الوقوف على مراكز تعليمية مختلفة، توزعت على قبائل مجاورة لأنولتان. أما

بالنسبة لمنطقة سوس فإن المختار السوسي أحصى ما يزيد على مائتي مدرسة قرآنية وعلمية، ووضع ذلك ضمن جدول للمدارس والمساجد ومواقعها بمنطقة سوس، والتي لم تكن مقتصرة على طلبة أهل سوس، بل كانت أبوابها مفتوحة للوافدين من مناطق أخرى[79]، حيث أشار إلى أن المسجد كان «يؤمه الأفاقيون الذين ينزلون حيث يطيل لهم النزول، ...فيجدون المؤونة الكافية البسيطة المألوفة عند كل واحد منهم في داره، وبها تربي، فكما يجد بيتا للسكنى وحده على حدة يجعل فيه ما يكون معه من المتاع والمكتب يكون في أمن تام»[80]

ومن القبائل التي اهتمت بالمدارس في إطار المساجد وجعلت منها مدارس لتعليم دراسة مختلف العلوم والفنون من نحو وصرف وفقه وأصول: قبيلة جباله، التي تعددت مساجدها كغيرها من القبائل، والتي كان لها البلاء الحسن في الحياة الثقافية بالمنطقة[81]

لم تتمكن هذه المدارس من إعادة النشاط الحيوي للتعليم بالمغرب، وذلك لظروف سياسية واقتصادية ساهمت في تقليص عدد الطلبة بسبب انعدام قدرتهم على توفير معيشتهم داخل المدارس، وقلة الإعانات والمساعدات؛ وقد عم ذلك في جميع المدارس، سواء مدارس فاس أو مدرسة مراكش «التي كانت تتوفر على 30 غرفة لسكن الطلاب، لم يعد يقطنها سوى 5 طلاب»[82].

ربما يرجع تقلص وظيفة المدارس، وضعف دورها التعليمي إلى الفتن والاضطرابات المختلفة التي مست أحباسها فأصبحت غير قادرة على تسديد أجور المدرسين، ونفقات الطلبة ولباسهم[83]، إلا أن هذه المدارس ظلت محافظة، رغم ما عرفته من اضطرابات ومعارضات، على مستوى تعلمي معين، إلى جانب نشر المذهب المالكي وتعاليمه السنية، وذلك تحت إشراف فقهي ومخزني، وقد تزامن ذلك مع ظهور الحركة الصوفية وتزايد نفوذها في الزوايا البعيدة عن مراقبة الدولة.

رغم كل ذلك لم تستطع المدارس أن تضع حدا للتدهور التعليمي المستمر والمتزايد، والذي امتد إلى غاية بداية القرن العشرين[84]، كما أنها خلقت نوعا من التغيير في النظام التعليمي بالمغرب، حيث أخذ المدرسون يتقاضون رواتبهم مقابل وظيفتهم داخل المدرسة، وهذه الرواتب قد تتفاوت حسب مكانة كل مدرسة وحسب تكوين المدرس وعطائه العلمي؛ كما أصبحت هناك دور خاصة لسكن الطلبة، وبدأ نظام التسجيل يظهر في هذه المدارس، خاصة بالنسبة للطلبة الذين يرغبون في متابعة دروسهم بها، مع إعطائهم بعض الوجبات الغذائية تحت مراقبة حارس يسهر على ضمان سلامة سيرها الداخلي.

الخلاصة: مما تقدم نستخلص أنه منذ الفتوحات الإسلامية ظهرت مؤسسات كالمسيد والكتاتيب والمساجد والربط والزوايا.. ارتبط نشاطها بالعبادة والتعليم .. ومع تطور المجتمع المغربي، وتنوع أنشطته الاقتصادية وموارده المالية، وتعدد هياكله السياسية وطبيعة دوله، وتشعب اجتهاداته؛ تطورت منظومته التربوية وتعددت مراكزه التعليمية، ولكنه بقي مع ذلك محصورا في إطار يغلب عليه الطابع العربي لغة (النحو والصرف والبلاغة والأدب ..) والطابع الديني عقيدة ومذهبا (الفقه والعبادات والحديث والتفسير والأصول..)؛ فسادت العلوم النقلية مواد التعليم، وقل الاهتمام بالعلوم العقلية إلا في فترات تاريخية

محدودة، زمن الحضارة العربية الإسلامية، التي تميزت ببعض الاشراقات في ميدان الطب والتنجيم والجبر والحساب والفلسفة...؛ وظل التعليم كمنظومة ومؤسسات منحصرا في طابعه العتيق ومتماشيا مع البنيات الاجتماعية التقليدية ومتفاعلا سلبا وإيجابا مع النظام السياسي (المخزن) [85]

إن مؤسسات التعليم التقليدية، رغم بساطتها وتفاوت درجاتها، كان لها دور أساسي في تكوين الناشئة، وغرس أسس العلم في بلاد المغرب على أساس العقيدة والدين والتعامل، الأمر الذي كان يتطلبه المجتمع التقليدي الذي دأب على تقدير التعليم، والرفع من شأن العلماء.

الهوامش:

1 ـ ألبير عياش، المغرب والاستعمار، حصيلة السيطرة الفرنسية، ص 51 الدار البيضاء، 1985

2 ـ نفسه، ص 52

3 ـ عمر آفا، تاريخ المغرب المعاصر دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد، ص 132 ، منشورات ا كلية الآداب بالرباط، 2002

4 ـ نفسه، ص 331

5 - Augustin Bernard, les productions naturelles, l'agriculture, et le commerce au Maroc, revue des sciences pures et appliquées, 26 février, 1903, p. 73.

6 ـ ألبير عياش، المغرب والاستعمار، ص 53

7 ـ نفسه، ص 55

8 ـ نفسه، ص 54

9- Laroui (A), Les origines sociales et culturelles du Nationalisme marocain (1830-1912), édition. F.Maspero, 1980, p. 120.

10- Ibid, p. 121.

11 ـ رحمة بورقية، مواقف وقضايا المجتمع المغربي في محك التحول، منشورات كلية الآداب، المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2004 ص 16

12 ـ نفسه، ص 39

13 ـ جل حركات السلطان مولاي الحسن كانت تصحبها عملية استخلاص الجباية المختلفة وردع القبائل التي ترفض أداءها.

14 ـ أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن 19 إينولتان 1850-1912 مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1983 ص 419

15 ـ عمر آفا، تاريخ المغرب المعاصر...، م. ر. ص 152

16 ـ المختار السوسي، المعسول، ج. 3، ص، 279، الدار البيضاء، 1961-1963

17 ـ نفسه، ج، 6 ص 250

18 ـ نفسه، ص 22526 وكذلك ص 265-268

19- Laroui (A), Les origines...., Op.cit, pp. 92-197.

20 ـ محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي المعروف بشقرون، اسم مؤلفه «جامع الاختصار والتبيان فيما يعرض

بين المعلمين وآباء الصبيان»، يرجع تاريخ تأليفه إلى رابع عشر ذي الحجة عام ثمانية وتسعين وثمانمائة 898هـ، موافق 26 شتنبر 1493م.

21 ـ أحمد بن الحسن بن يوسف الشهير بابن عرضون، اسم مؤلفه «مختصر مقنع المحتاج في آداب الزواج وتربية الولدان»، طبعة حجرية، بدون تاريخ.

22 ـ عبد الله الجراري، من أعلام الفكر المعاصر، ج، 1 ص16 الرباط 1969 وانظر كذلك

Brunot L. L'école coranique dans le monde musulman. B.E.P.M n°102; Février 1930; PP 82-90

23- Michaux Blaire, in Revue de Monde Musulman tome.5. p.428

24 ـ المختار السوسي، سوس العالمة، الرباط ,1960ص، الرباط 1960

25 ـ نفسه، ص 25

26- Abdallah LarouiÅ, Les origins .., , op.cit , p.193.

27- Don Badia Leblich, voyage d'Ali Baye el abbassi en Afrique et en Asie pendant les années 1803à 1807 vol .,P.137

28- PereTIe (L), Les madrasa de Fes, A.M.,Vol XVIII,.1912 PP, 309-312

29 ـ عبد الله الجراري، من أعلام الفكر المعاصر، ج.ة . ص21 الرباط 1969

30 ـ نفسه، ص 21

31ـ إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، الدار البيضاء، 1985 ص12

32 ـ ابن سحنون، آداب المعلمين ص75 بمراجعة محمد العروسي المطوي، طبعة دار الكتاب الشرقية، تونس 1492هـ.

33- La roui les Origines .., op.cit, p.193.38

34ـ المختار السوسي، المعسول، ج. 1 ص166-167

35 ـ المختار السوسي، المعسول، ج،...1 م، س، ص166- 167

36 ـ نفسه ، ج.....3 ص...301

37 ـ مجلة المغرب، السنة الخامسة، نونبر ـ دجنبر 1936 ص3

38 ـ نفسه، عدد السنة 1937 ص11

39 ـ عبد الرحمان بن زيدان الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة، ص59-60 الرباط 1937

ـ وعبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1967 ط الثالثة، ص286

40 ـ الناصري أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج8 ص.67، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956

41 ـ أشارت بعض الدراسات إلى أن تشييد جامع ابن يوسف يرجع إلى آخر عهد يوسف بن تاشفين حوالي 496 هـ، واكتمل بناءه على عهد علي بن يوسف بن تاشفين. انظر مجلة دعوة الحق، ص.10 العدد 377 السنة 45 ماي ـ يونيو 2004

42 ـ هاشم العلوي القاسمي، جامع ابن يوسف بمراكش، النشأة الدور والإشعاع، مجلة دعوة الحق، م.س، ص.9

43 ـ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تاريخ أخبار المغرب، ص.164، مطبعة الثقافة، سلا، 1938

44 ـ إبراهيم الهلالي، حضارة مراكش والإشعاع الفكري لجامعة ابن يوسف، الجزء الثاني، المطبعة والوراقة الوطنية، 2001 ص369 ـ 370

45 ـ عبد الواحد المراكشي، المعجب في تاريخ.....، م.س، ص..163

46 ـ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص.414، ج.3. مطبعة بيروت.

47- أورد زفيردانس في كتابه عن مراكش أن زمارمولس الذي سكن مراكش ووصف معالمها فكر أن المدرسة التي بناها الغالب بالله السعدي تقع في أسفل المدينة، وهي شبيهة بالمدرسة المرينية التي أطلالها بالقصبة. وأول من أطلق اسم المدرسة المرينية على مدرسة الغالب بالله هو الإفراني، وقلده من تبعه من المؤرخين. انظر الصديق بن العربي، فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش.

48 ـ نجد أسماء العلماء في العديد من المراجع التاريخية والأدبية، مثل كتاب الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام للقاضي العباس بن إبراهيم، وكتاب النبوغ المغربي، في الأدب العربي، لعبد الله كنون، وكتاب روضة الآس العاطرة الأنفاس، في من لقيته بحضرتي مراكش وفاس لمحمد المقري التلمساني، وكتاب الحركة الفكرية على عهد السعديين لمحمد حجي وغيرهم.

49 ـ الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ص.361 ـ 363. الرباط، 1981

50 ـ إسكان الحسين، جوانب من تاريخ التعليم في المغرب الوسيط من القرن 7هـ/ 13م إلى القرن 9هـ/ 15م رسالة جامعية بكلية الآداب بالرباط، السنة 1987-1988 ص82

51 ـ نفسه

52 ـ أحمد بوكاري، زاوية أبي الجعد، رسالة جامعية مرقونة بكلية الآداب بالرباط 1984م، ص 253

53 ـ نفسه، ص144

54 ـ نفسه.

55 ـ نفسه، ص145

56 ـ عمالك أحمد، الزاوية الناصرية ودورها الاجتماعي والسياسي، رسالة جامعية، كلية الآداب الرباط، -2001 2000 ج، 2 ص 254

57 ـ أحمد بن خالد الناصري، طلعة المشتري، ج، 1 ص159 طبعة حجرية، فاس.

58 ـ أحمد عمالك، الزاوية الناصرية...، م، س، ج، 2 ص262

59 ـ أحمد عمالك، الزاوية الناصرية...، م، س، ص265

60 ـ نفسه، ص266

61 ـ نفسه، ص290

62 ـ نفسه، ص 310

63 ـ العباس بن إبراهيم، الإعلام لمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج، 8 ص 217 المطبعة الملكية الرباط 1974

64 ـ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبعة دار المنصور، الرباط، 1973ص 217

65 ـ محمد القبلي، قضية المدراس المرينية: ملاحظات وتأملات، طبعة دار توبقال، الدار البيضاء 1986 ص 48

66 ـ محمد المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط 1979 ص303

67 ـ إسكان الحسين، جوانب من تاريخ...، م، س، ص.62

68 - Paye{L}, Introduction et Evolution de L'enseignement Moderne au Maroc Edition, introduction et notes, Mohammed Benchekroun, pp 41- 42

69 ـ إسكان الحسين جوانب من تاريخ...، م، س، ص.69

70 ـ نفسه.

71 ـ باحثان فرنسيان هما:

- Brunshrig (R), quelques remarques historiques sur les madrasas de Tunisies Revue tunisienne 2 trimestre, 1931 p: 262.

- Statwmeller (M), les premiers Mérinides et le milieux religieux de Fes l'introduction des madrasas, Stadia islamica, EXL III, pp: 109-116.

72 ـ محمد المنوني، ورقات عن حضارة....، م، س، ص215-216

72 ـ إسكان الحسين...، م، س، ص71

74 ـ نفسه.

75 - Shazmeller (M, op.cit. pp. 109 - 116.

76 ـ فسر Paye هذه المعارضة بكون الفقهاء رأوا أن سمو الدراسات الدينية لا يتلاءم مع البحث عن الوظائف والمناصب، (Play,42) في حين يرى إسكان الحسين، ص66 أن هذه المعارضة تزداد قوة بالنظر إلى المال المشبوه الذي تبنى منه المدارس.

77 ـ كمال حسن، مؤسسات البحث والتعليم بالمغرب خلال فترة الحماية الفرنسية «مقاربة تاريخية» ص299. رسالة جامعية، كلية الآداب بالرباط، 2002-1002

78 - Encyclopedic l'Islam, Ecla 1913, pp. 363-364..

79 ـ مجلة تاريخ المغرب، العدد 4 غشت 1984 ص 42 وكذلك مجلة رسالة المعاهد، عدد 10 ، السنة، غشت 2000 ص 28

80 ـ أحمد التوفيق، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي خلال القرن التاسع عشر: اينولتان (1850ـ1912) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1980 جزءان، ص101

81 ـ المختار السوسي، مدارس سوس العتيقة، طنجة، بدون تاريخ، ص93- 134

82 ـ سوس العالمة، م.س، ص 25

83 ـ المريني العياشي، صورة من التاريخ البطولي لمنطقة جباله، ، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1983 ص41

84 ـ الوزان حسن، وصف إفريقيا، ج، 1 ص، 104 ترجمة محمد حجي ومحمد الخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف الترجمة، 1980

85 ـ نفسه، ص179

68 ـ كمال حسن، المؤسسات...، م، س، ص300